النفائس

مجلة ادبية فكاهية تاريخية

تصدر في القدس لصاحبها خليل بيدس وسنتها ١٢ جزءاً

الجزء التاسع	تشرين الاول سنة ١٩٢٣	السنة التاسعة

الحديث ذو شجون

تناول السيد شمس الدين النحاس طعام الغداء في فندق فخم من فنادق المدينة ثم ركب القطار يريد السفر الى مدينة اخرى لبعض الشؤون . ولم يكن في مركبة الدرجة الاولى التي دخل اليها الا رجل واحد تدل هيئته على انه في الخامسة والخمسين من العمر . فحيَّاه النحاس وجلس تجاهه ثم اخذ لفافة فأشعلها وراح ينفخ الدخان من فيه وهو ينظر تارة الى الرجل وطوراً الى المحطة التي كان القطار يبتعد عنها شيئاً فشيئاً . ثم عاد فالتفت الى جليسه وقال —اعتاد المرحوم والدي ان يستلقي على ظهره كل يوم بعد طعام الظهر فتأتي احدى جواريه فتحك له قدميه . وقد اقتبستُ انا هذه العادة عنه ولكنني لا احكُّ بعد الطعام قدميَّ بل لساني ودماغي . ولما كانت المسافة امامنا طويلة وقد امتلأت معدتي كما امتلأت معدتك طبعاً من الطعام على انواعه وربما شربتَ شيئاً من الخمور المعتقة كما فعلتُ انا ، فأرجو ان لا يكون جهلُ كلٍّ منا بالآخر حائلاً دون خوض عباب الحديث ، فنقطع هذه

الساعات بلا سآمة و بلا ضجر . فهل من جهتك ما يمنع ذلك ؟

فابتسم الرجل وقال — وهذا لسان حالي . لان في الحديث تفكهة للالباب وتسلية للخواطر

قال — ولا أكتمك ان للطعام الجيد افضل منبّه لدماغي ولساني واحسن تأثير على مخيلتي . فاذا رأيت شيئاً او حركة او سمعتُ صوتاً او نغماً فلا تلبث افكاري ان تطوف به تدرس دقائقه وتستجلي حقائقه وتعلّق عليه ما شاءت المخيلة .. وقد رأيتُ الان ، كما رأيتَ انت ، فتيين من فتيان هذا العصر وقد بادر احدهما الى الآخر يهنئه بالشهرة التي اصابها وبالنجاح الذي ادركه . ولا شك انهما من رجال التمثيل او من الادباء المبتدئين .. غير ان النكتة ليست هنا ولا هذا الذي شغلني من امرهما . وانما الذي همّني وكان موضوع تأملي هو هذه الشهرة التي يسعى وراءها البشر بكل ما أوتوا من العزم والقوة و يبذلون في سبيلها الارواح والمهج . وانت لو سألتَ كلاً منهم ان يعطيك تعريفاً للشهرة كما يفهمها هو لسمعتَ تعريفات وحدوداً كثيرة متباينة كل التباين ، وقد تضحك من كلامهم وهدرهم ضحكاً عالياً . و يحضرني الان ما قاله في تعريف الشهرة احد ادبائنا الكبار ، فقد قال « ما الشهرة الاّ رقعة زاهية في ثوب عتيق » وقال غيره وغيره غير ذلك من التعريفات الاخرى التي لا ينطبق شيء منها على الحقيقة

قال — ولكن ماذا يهمك انت من كل هذا ؟

قال — ان ذلك يهمني و يهمك و يهم كل انسان . لاننا متى عرفنا ما هي الشهرة ، اجتهدنا ان نبحث عن السبل التي تؤدي اليها . وقد كنتُ من طلاّب هذه الشهرة فيما مضى من حياتي ، يوم كنتُ في شرخ الشباب

وقد شغفتُ بها وكنتُ لا اعمل شيئاً الاَّ لاجلها ، ولم اتعلم الاَّ حباً بها ، وطالما أحييتُ الليالي سهراً وحرمت نفسي الاكل والراحة في سبيلها ، — وكانت الاسباب متوافرة لديَّ ولكني لم انل ما كنتُ اصبو اليه ٠٠ ولا اكتمك اني مهندس ، وقد بنيت عشرات من البيوت الجميلة وعشرات من الجسور المشهورة في هذه البلاد وفي غيرها ، وكتبت عدة مقالات وكتب صغيرة في الهندسة ، وكنتُ ميَّالاً الى الكيمياء ايضاً ولي فيها بعض اكتشافات جديدة بالاهتمام ، ودخلتُ في خدمة الحكومة وأصبت حظوى في عيون كبار الحكام ونلتُ الاوسمة والرُتب ، — الى ان طعنتُ في السن وأصبحت ايامي الباقية معدودةً ، والشهرة التي كنتُ اجدُّ في اثرها لم أُصب منها الاَّ قدر ما أصابه ذلك الكلب الاسود الذي تراه من هذه النافذة يجري امامنا بجانب الطريق

قال — ولكن كيف عرفتَ انك لم تنل شهرة بكل ذلك

قال — لا اسهل من امتحان الامر ٠٠ فهل عرفتَ رجلاً يدعى شمس الدين النحاس ؟

فأطرق الرجل هنيهةً ثم قال — لا ٠ لم أسمع بهذا الاسم

قال — هو اسمي ٠٠ انك ياسيدي من اهل الطبقة الراقية في الامة ، وقد وخط الشيب رأسك ، ومع ذلك فانت لم تسمع باسمي ٠ فالظاهر اني في سعيي وراء الشهرة لم أسلك السبل الحقيقية التي تؤدي اليها

قال — وما هي هذه السبل في نظرك الان ؟

قال — لا ادري والله ما اقول ٠٠ وقد يخطر في بالك انها الموهبة والعقل والذكاء والبراعة واغتنام الفرص واللطف في المعاشرة وذلاقة اللسان

وحسن الهندام وارتياد اماكن اللهو والنزول في انخم الفنادق ··· لا هذا ولا ذاك ولا شيء من كل ذلك ·· وقد اشتغل معي كثيرون من الرصفاء ولم يكونوا ذوي حنكة وذكاء وعلم ·· اشتغلوا قليلاً وساروا بطيئاً ولم يطلبوا شيئاً من الشهرة ولم يمتازوا بشيء من المواهب ··· ولكنني لم أَلبث ان رأيتهم قد ادركوا شأواً بعيداً من الشهرة وبلغ بعضهم قمة المجد ونشرت الصحف اسماءهم ورسومهم وتراجمهم وعزَت اليهم الاعمال المجيدة ولقَّبتهم بالالقاب الضخمة واصبحوا موضوع الحديث والاعجاب في المجالس والاندية ·· واسمع أُحدثك على سبيل المثال بشيء جرى لي فعلاً · فقد بنيت من بضع سنوات جسراً كبيراً في المدينة التي تراني مسافراً اليها الان وقد تولاَّني فيها في اثناء العمل ضجر شديد كدتُ أفقد معه عقلي لولا النساء وورق اللعب · الى ان تعرَّفتُ اخيراً بغانية كانت مغنية في بعض المسارح وليس لها من المواهب الاَّ رخامة الصوت والتفنن في الرقص المبتذل ، وكانت جاهلة حمقاء شديدة الطمع والجشع الى ما لا حدَّ له ، فكانت تأْكل كاربعة وتشرب كستة وتنام النهار بطوله · ولكنَّ الناس قد أَحبوها لجمال وجهها وعذوبة غنائها واثوابها القصيرة الشفَّافة وحركات يديها ورجليها في الرقص وهي في تلك الاثواب · وقد دعاها الناس ممثّلة ونعتوها بالادبية ونسبوا اليها الفن ، — وهي بريئة من كل هذا ·· تعرفتُ بهذه الغانية ثم توثَّقت العلاقة بيني وبينها الى ان اصبحت رفيقتي وخليلتي وهي لا تزال تذهب كل مساء الى المسرح للرقص والغناء · ولما فرغتُ من بناء الجسر أعلنت الحكومة عزمها علَى تدشينه واقامت لذلك حفلة شائقة دعت اليها عظماء البلاد واعيانها · وقد تُليت الخطب وأُنشدت القصائد وتبودلت

رسائل التهنئة بالبرق . . وكنت انا واقفاً بين الجمهور مطرقاً برأسي الى الارض خجلاً ، لاني ظننت ان الناس كلهم ينظرون الان اليّ ويشيرون بايديهم ويذكرون اسمي بالاطراء والتعظيم . . غير ان الامر لم يكن كما توهمت ، ولم يكن يعرفني في تلك الحفلة الا بعض رجال الحكومة ، فلم ينتبه اليّ احدٌ من الحضور ، بل كانوا كلهم ينظرون الى الجسر ويعجبون من جماله ومتانته ، دون ان يخطر لاحد منهم ان يعرف اسم المهندس الذي شاده او يبحث عنه بين ذلك الجمهور . . . وكان الدم قد صعد الى رأسي ولكنني كظمت الغيظ ولبثت في مكاني وقد كرهت الفن وابغضت الناس ووددت لو أتيح لي ان اهجر المدن واقضي بقية حياتي في الخلاء . . . وبينا انا لاهٍ بمثل ذلك شعرت بحركة في الجمهور ، فنظرت واذا جميع الواقفين قد تحولت ابصارهم الى جهة واحدة والسرور يهزهم هزاً . فنظرت انا ايضاً فرأيت رفيقتي المغنية جاءت تشق الجماهير وفي اثرها شرذمة من الفتيان المواعين بها . وما كنتَ تسمع وقتئذٍ الا اسمها عَلى الافواه والا الثناء عليها من كل فج . وقد سمعت باذني رجلاً يهمس في اذن رفيق له كان الى جانبه وقد اشار اليّ ـ « يقولون ان هذا الرجل هو رفيقها ، وانه ينفق عليها بلا حساب » . ثم دنا مني رجل آخر وقال « هل تدري مَن هذه الحسناء ؟ انها شمس المسارح وجمال الفن » فقلت له « وانت هل تدري مَن بنى هذا الجسر ؟ » . فهزّ كتفيه وقال « لا أدري ولعله احد المهندسين » . قلت « ومَن بنى في مدينتكم مستشفاها المشهور ، ومدرستها العالية ، ومعبدها الفخم ؟ » قال « لا أدري » قلت « وهل تعرف افضل الاساتذة والمهذبين . . واشهر العلماء والكتاب ؟ » قال « لا ادري » قلت « وهل تعرف اسم الرجل الذي

تعيش معه هذه المغنية ؟ » . قال « سمعت انها تعيش مع رجل يقال له شمس الدين النحاس . . »

وما سمعتُ كل هذا حتى اصابني شبه نوبة عصبية . فارتجفتُ شديداً واكفهرَّ لوني . وما لبثتُ ان تركتُ الحفلة واربابها وعدتُ الى منزلي وانا في هم وغم . ولما ثاب اليَّ روعي اخذت اعلل نفسي بان هذه الحادثة لن تمر من غير ان تذكر الجرائد اسمي بالاطراء والثناء ، فأنال الشهرة التي أستحقها وأُصبح من رجال الوطن المعدودين . ولما كان صباح اليوم التالي نزلتُ الى السوق فابتعت نسخة من كل جريدة من جرائد الامس وعدت الى منزلي واخذت أتصفح تلك الجرائد واحدةً واحدةً ، فرأيتُ في اكثرها وصفاً للحفلة وذكرَ اسماء طائفة كبيرة من الحكام والعظماء الذين شهدوها . . وذكر المغنية الحسناء التي حضرت فجأة فكسفت شمسَ النهار بضيائها وسبت العقول بجمال طلعتها وسنائها . . وكانت مرتدية . . الخ الخ »

نشرت الجرائد كل ذلك وطوت كشحاً عن ذكري ولم تهتم هي ايضاً بمعرفة الرجل الذي بنى ذلك الجسر وهو اعجوبة الزمان وغاية الفن . ملأت هذه الجرائد عموداً وعمودين من اعمدتها لغطاً على غير معنى ولا جدوى ولم تُجرِ لعملي – وهو موضوع تلك الحفلة – ذكراً . . نعم يا سيدي هذه هي حالة جرائدنا ايضاً ، – تهتم بالتافه من الاخبار وتكتم الحقائق او لا تُعنَى بها . وذلك فضلاً عن اختلاق الاخبار المكذوبة وتمويه الحقائق وتبديل صور الواقع بغيرها ، وغير ذلك مما لا يسعني بيانه كله . وقد قلتُ في نفسي: لا بأس ، فامامي وسيلة اخرى للشهرة لا بُدَّ ان يكون فيها النجاح . وذلك ان المجلس البلدي في العاصمة قد طلب من المهندسين رسوماً لبناء كبير كان

المجلس عازماً على تشييده ، ووعد ان يكافئ المجيد منهم احسن مكافأة . وقد أرسلتُ انا برسمٍ لهذا البناء كما ارسل غيري ، وكنت واثقاً بان المجلس سيحكم لي بالجائزة فأنال الشهرة التي أنشدها . ولما حلَّ موعد النظر في هذه الرسوم ركبتُ القطار وسافرتُ الى العاصمة ومعي طبعاً المغنية « الشهيرة » ولم يكن لنا من عمل في الطريق الاَّ الاكل وشرب الشمبانيا ، الى ان بلغنا العاصمة ، فنزلنا في احسن فنادقها . وفي اليوم التالي لوصولنا اجتمع المجلس البلدي وحكم للرسم الذي قدَّمته انا بالجائزة الاولى كما كنتُ اتوقع . فطرتُ فرحاً بذلك واخذت انتظر بفارغ الصبر صدور الجرائد في اليوم التالي لأقرأ الخبر . وكنتُ لا اشك في الانتصار وادراك اسمى مراتب الفخر والشهرة

واخذتُ الجرائد في اليوم التالي وخلوتُ بها في غرفتي في الفندق وشرعت في مطالعتها شيئاً فشيئاً . فقرأت في الاولى منها : « وصلت الى العاصمة امس بقطار المساء الممثلة الشهيرة (وذكرت اسمها) فنرحّب بها ونتمنى ان تقضي عندنا في العاصمة مدة طويلة ليتمكن الجمهور من اغتنام احسن الفرص لحضور ارقى مشاهد التمثيل وسماع اطرب انغام الغناء . . » وقرأت في الثانية والثالثة والرابعة ما يشبه ذلك غير ان هذه استرسلت في وصف جمال الممثلة الفتان والفن الذي أدركته بمواهبها وذكائها . . ولم أرَ اسمي الاَّ في جريدة واحدة في هذا الخبر المقتضب : حكم المجلس البلدي بالجائزة الاولى (لفلان) ولكنها بدلاً من ان تكتب (شمس الدين النحاس) كتبت (قمر الدين النقاش) . . .

فرغتُ من مطالعة تلك الجرائد وانا كشبح بلا روح . ولكني

نهضت في الحال الى زجاجة الشمبانيا وكانت امامي عَلَى المائدة فوضعتها عَلَى فمي واحتسيتها كلها ثم اسرعت فاستلقيت عَلَى سريري ونمت نوماً ثقيلاً ..

ولما عدنا من العاصمة كتبت الجرائد فصولاً كثيرة في سفر الممثلة .. وأسفت كل الاسف لفراقها وتمنت لها سفراً سعيداً وعيشاً رغيداً وعمراً طويلاً مديداً ليظل « الفن » بوجودها في تقدم مستمرّ ونجاح مطّرد ودُعيتُ بعد شهر من عودتنا من العاصمة الى احدى المدن الكبرى في البلاد للنظر في بعض متاحفها . وقد قمتُ بعملي احسن قيام وألقيتُ عدة محاضرات في الموضوع . وكانت الجرائد هناك تكتب عَلَى عادتها اخبار الزواج والوفيات والولادة والحرائق والغناء .. وتذكر اسم كل مُطرب ودجّال ومشعوذ ولص وسفّاك وراقصة ومفلس وسكّير — ولم تذكر شيئاً عني وعن محاضراتي واصلاحي للمتاحف .. وركبتُ مرة الترام وكانت المركبة مزدحمة بالركاب بين رجال ونساء وطلاّب علم وتجار ، فقلتُ لرجل منهم كان الى جانبي — بصوت سمعه كثيرون غيره — : سمعتُ بان المجلس البلدي هنا استدعى مهندساً لاصلاح بعض المتاحف فهل عرفتَ اسمه ؟ فقال الرجل — لا . وقرأْت مثل ذلك عَلَى وجوه الباقين . قلتُ — وقد سمعت ان هذا المهندس يُلقي كل يوم محاضرات مفيدة جدّاً في بعض المتاحف ! — فهزّ الجميع اكتافهم ولم يحيروا جواباً

فأَخلدتُ انا ايضاً الى السكوت . واذا بالرجل الذي كان الى جانبي يدفعني بيده ويقول — انظر الى ذلك الرجل الذي استوقف تلك العربة يريد ان يركبها فهل تعرفه ؟ قلت لا . قال — كيف لا وهو ابو القاسم المصارع المشهور ! وما قال هذا حتى تطالّت الاعناق وشخصت الابصار

لترى كلها المصارع . وما عدتَ تسمع في الترام الا حديث المصارعين

ولولا خوفي ان تستولي عليك السآمة لسردتُ لك امثلة كثيرة من هذا النوع وكلها تؤيد جهل الامة بالشهرة الحقيقية وار بابها وانصرافها الى استحسان كل ذي ورم . فكم من مشاهير العلم والادب والفنون على انواعها يعيشون و يموتون ولا يعرف احد عنهم شيئاً . بينا نرى بعض صغار الاحلام اذا كتب احدهم شيئاً ولو تافهاً او قام بعمل ولو صغيراً ضئيلاً قامت قيامة الجرائد تقرّظهُ وتكيل له المدح والثناء بلا حساب

و بينا كان السيد شمس الدين النحاس يتكلم وقف القطار في احدى المحطات وخرج الناس يترا كضون من المركبات ووقف جمهور كبير منهم في النوافذ وقد شخصت الابصار الى رجل كان واقفاً في المحطة والخفراء من حوله. فسأل شمس الدين عنه رجلاً كان بقربه فقال — ألا تعرف ابا الفرج الماريني اللص الشهير الذي سرق منذ بضعة اسابيع مصرف العاصمة ؟ فهذا هو . .

فهزَّ شمس الدين كتفيه وعاد الى جليسه فقال — انهم يعرفون اسماء جميع اللصوص والقَتَلَة والمغنّيات والراقصات . . ولكن هل يعرفون اسماء نوابغ الامة وعلماءها وادباءها ؟؟ هذا هو الجهل المطبق يا سيدي ولا حيلة لنا الى دفعه

فابتسم الرجل وقال — لقد سمعتُ كل حديثك بتمام الاصْغاء واللذة . فاسمح لي ان اسألك الان بدوري . — فهل سمعت انت باسم عليّ بن العباس ؟

قال — لا

قال – هو اسمي . وقد أقمتُ خمساً وثلاثين سنة استاذاً للعلوم الطبيعية في اعلى جامعات بلادنا وعضواً في بعض الاكاديميات العلمية في البلاد الاخرى ..

فعض شمس الدين شفتيه وتململ . ثم اطرق برأسه الى الارض . وعاد فنظر الى جليسه ونظر هذا اليه — ثم اخذا يضحكان ويقهقهان

منشورات

سعة اكبر المعابد في اوربا — تسع كنيسة مار بطرس برومية ٥٤ الفاً . وكنيسة مار بولس بلندن ٣٥ الفاً . وجامع ايا صوفيا بالقسطنطينية ٣٣ الفاً . وكنيسة فلورنسا الكبرى ٢٤ الفاً و٣٠٠ نفس

السكر والغضب — يؤخذ من التجاريب العلمية ان الانسان في حالة الاضطراب او الخوف او الغضب تزداد في جسمه كمية السكر .. فالظاهر ان الانسان في حالة الغضب يكون احلى وأعذب

منافع الزواج — طلبت النقابة الطبية الاميركية ان تحصي الحكومة الوفيات مبينة في الاحصاء هل المتوفى متزوج ام عزب ? فلبى قلم الاحصاء الطلب وتأكد له ان المتزوجين يعيشون اكثر من العازبين اذ ظهر من الاحصاء ان المتزوجين بين عمر ٢٠ الى ٣٠ يموت منهم ٤ في المئة والاعزاب في هذه السن يموت منهم ٦ في المئة . — ويموت من المتزوجين بين ٣٠ الى ٤٠ ستة في المئة ومن الاعزاب ١٣ . — ويموت من المتزوجين من عمر ٤٠ الى ٥٠ تسعة في المئة ويموت من الاعزاب في هذا العمر ١٩ ونصف . فليتأمل القارىء العازب !

حسن الولاء — لاسماعيل صبري

اذا خانني خلٌ قديمٌ وعقَّني ففوَّقتُ يوماً في مقاتله سهمي
تعرَّض طيفُ الودِّ بيني وبينهُ وكسَّر سهمي فانثنيت ولم أرمِ

قلب الرجل وقلب المرأة

[لامين بك ناصر الدين محرر جريدة الصفآء المشهورة]

وهذه القصيدة هي خلاصة ما رآه بعينه وسمعه باذنه في احد المجتمعات اللبنانية . قال:

وأُختين للكبرى من العمر سبعةٌ ولم تجتز الصغرى اللطيفةُ اربعا
تشبهتا بالمحصنات تصوناً فكلتاهما أَلقت على الوجه بُرقعا
رأَيتهما في ندوةٍ ذات بهجةٍ تريك الغواني والرجالَ بها معا
تلاعبتا والبِشرُ في جبهتيهما كماءٍ على بلورتين تجمعَّا
تخالان ان الدهر يهتف قائلاً بما شئتما من طيباتي تمتَّعا
وأنَّ يد الخلاَّق في الكون اوجدت لاجلهما ما طاب مرأىً ومسمعا
تقولان لولانا لما لاح كوكبٌ ولا صدح القمريُّ يطرب مُولعا
ولا أَزهر الروضُ الأَنيق ولا سرى نسيمٌ اريجُ الوردِ منه تضوَّعا
ولم تحملا همّاً ولا ذاقتا اسىً ولم تعرفا يأساً ولم تتوجعا



وجاءهما ناعٍ فقال : ابوكما دعته المنايا وهو ناءٍ فأَسرِعا
فهالهما ذاك المصابُ وناحتا نواحاً شجى مني الفؤادَ وصدَّعا
وقد رمتا بالبرقعين وقالتا أَيمضي ولا يأْتي الينا مودِّعا
وأَطلقتا ماء الشؤون فلم يكن سوى مدمعٍ سحٍّ يسابق مدمعا
ولم أَرَ في كل المشاهد مشهداً لصاحب قلب كان اشجى و اوجعا
وأما الرجال الناظرونَ اليهما فكلهمُ أَبدى اسىً وتفجَّعا
وقالوا أَلاَ إنَّا مكانُ ابيكما حنوًّا فنأبى ان تُراعا وتجزعا

واما النساءُ الناظراتُ اليهما ... فقد كُنَّ في روض المسرات رُتَّعا
ولم تعلُ منهنَّ الوجوهَ كآبةٌ ... ولا استذرف الاشفاقُ منهنَّ ادمعا
بسمنَ سروراً والرجالُ وجوههم ... عوابسُ من خَطْبٍ أَمضَّ وروَّعا
ودار حديثٌ بينهنَّ سمعتهُ ... وها انذا ارويه ذكرى لمن وعى:



أرى ثوبَ سلمى يا فريدةُ فاخراً ... وأحسنَ نسجاً من ردائكِ يا سُعا
وثوبُكِ يا أدماءُ زاهٍ بلونِهِ ... ولكن ثوبي زيُّهُ باتَ أرفعا
ويُعجبني ثوبٌ لاسماءَ ناصعٌ ... وإن يكُ ثوبي اليومَ أزهى وأنصعا
وإنَّ مشدّاً حول خصركِ يا ندَى ... لَأَلطفُ شكلاً من سواه وموضعا
وقبعتي فاقت سواهـا بحسنها ... وقُرْطي ثمينٌ باليواقيت رُصِّعا
وعقدُكِ يا ربى كعقدي نفاسةً ... فلؤلؤهُ كالنجم تظهر لُمَّعا
وفي مِعصَمَيْ نُعمى سواران أبتغي ... بمثلهما يا هند أن أتمتعا



فهل بعد هذا مدَّعٍ أن للنسا ... قلوباً رقيقاتٍ تذوب تفجُّعا
وهل قائلٌ أنَّ الرجالَ قلوبُهم ... قَسَتْ فهي لا تحنو على مَن توَجَّعا

﴿ اصابع العاج ﴾ — الدكتور نقولا فياض

ليس (البيانو) الذي باتت تكهربه ... يداكِ اطوع من قلبي وافكاري
لمستهِ فتمشّى السحرُ بي فكما ... تهتزُّ اوتارُهُ تهتزُّ اوتاري
اصابع العاج هذي تلعبين بها ... ام تلعبين بأسماعٍ وابصارِ

يومية طفل

وهي مقالة كُتبت عن لسان طفل
وُلد حديثاً لتُهدى الى الامهات

اليوم الاول من حياتي

ما اعظم هذا الكون وأبهجه ! وما أصفى سماءه ، وأنقى هواءه ، وأبهى شمسه ، وأرقّ نسيمه ! .. وقد خرجتُ اليه لأحيا الحياة السعيدة وأغتبط بكل نعيم .. فأستنشق الهوآء النقي بكل صدري . وأصيح وأصرخ كما أشتهي . وأتحرّك وأغو بملء حرّيتي .. ما أسعدني لاني وُلدت اليوم لاتمتّع بكل هذا

اليوم الثاني

اشتدّ عليّ الحرُّ حتى كاد يخنقني . وشعرت بضغط شديد عَلى صدري حتى ضاق تنفسي . الهواء فاسد في غرفتي والظلام مخيم في جوانبها .. أهذا ما كنت أتوقعهُ من اللذة والسرور في هذه الحياة ؟ .. ولكن صبراً جميلاً . فعسى ان يأتي الفرج القريب .. ان الحاضنة التي عينتها والدتي لتطعمني اللبن وتعتني بي لم تتعلم بعد ان تدرك ما يجول في خاطري

اليوم الخامس

اذا كانت حياتي ستُقضى كلّها كما قُضيت الايام السابقة فبئست الحياة هي . ان اهلي لا يعرفون من شؤون تربيتي الآن . يقيدوني بالقمط ويلفوني النهار بطوله باللحف والدُّثر الكثيرة . وقد ألبسوني ثياباً ثقيلة اتقاء قرس البرد عَلى زعمهم . ولكنهم حرموني بذلك كل حركة . جعلوا سريري

بقرب المستوقد فصرت كأني في اتون من نار · وقد أُغلقوا نوافذ الغرفة وجللوها بالستائر فحالوا بيني و بين النور والهوآء ·· أظلُّ النهار بطوله مضطجعاً في سريري والظلمة الحالكة من حولي والقُمُط تضغط جسمي وتعصره ·· ويُخَيَّل اليَّ ان اهلي يخافون عليَّ ان اهرب · والاَّ فما بالهم قد حبسوني في هذا السجن المظلم؟ ·· لو كان في طاقتي الكلام لَأَرشدتُهم الى ما يجلب لي النافع و يدفع عني الضارّ · ولكني لا أزال ابن خمسة ايام فقط · أفليس في هذا الكون من يفهم لغتي ويهبّ لمساعدتي ؟

اليوم السابع

ذبلت عيناي من شدَّة البكاء · وقد ضعف صوتي وخانني جلَدي · وما بكائي الاَّ من هذه الحالة السيئة · غير ان حاضنتي تظن اني لا ابكي الاَّ من جوع · فصارت كلما بكيت تناولني قارورة اللبن لاكفَّ عن البكآء · ولكنها كانت تزيد بذلك حالتي سوءًا · وكنتُ اذا حركت رأسي يميناً وشمالاً أبحث عن الهوآء النقي تزعم هذه الجاهلة ان الحمَّى انتابتني فتبادر بالشكوى الى والدتي · ثم تعود واياها فتأخذان تدفئان ثيابي ولحفي · ثم تضغطاني بها وهي شديدة الحرارة ·· آه يا ربَّاه ماذا أعمل ؟ · ان الذين يهمهم امري ويعُنون بتربيتي وحياتي هم يهدمون بنيتي بايديهم يوماً فيوماً وساعةً فساعةً ·· فما أبعدَهم عن الصواب ! وما أجهلهم بالحرص على فلذات اكبادهم !

اليوم العاشر

قضيتُ ليلتي علَى اسوإِ حال · أبكي ولا يفهمني احد · أتنهَّد من كبدٍ حرَّى ولا من يرثي لحالتي ·· واذا جاءوا لمساعدتي فانهم انما يأتون

لإطعامي ليس إلاّ · هذا كل ما يعرفونه من انواع المداراة · وهذه هي كل وسائلهم لإسكاتي ·· أشرب هذا اللبن ثم أتقيأه · لان معدتي الصغيرة الضعيفة لا يمكنها ان تحتمل كل هذا المقدار ·· وقد تفلسفوا امس فجرّعوني مع اللبن دواءً مرّاً ·· آه يا امي و يا اهلي ! انكم تخالفون نواميس الطبيعة ! انكم لا تدركون شيئاً من قوانين الصحة ! لقد حرتم في امر تمريضي وطاش لبّكم · ولكنكم لم تفهموا مطالبي ·· أعطوني هواءً · هواءً جيّداً نقيّاً بدل الشيء الكثير من هذا اللبن ·· أعطوني نوراً · أعطوني هواءً ونوراً ولا تخشوا عليّ بأساً

اليوم الثاني عشر

اجتمعت امس عمّاتي وخالاتي وغيرهنّ من صديقات والدتي وصويحباتها في غرفتي · واخذنَ يتجاذبنَ اطراف البحث عن علة دائي وينظرنَ في وجوه حلّ هذه المشكلة المعضلة · فاستقرّ رأيهنّ اخيراً على اني أُصبتُ بالبرد فاعترتني الحمّى · واخذت كلٌّ منهنّ تبدي رأيها في معالجتي · وكان اول ما وافقنَ عليه انهن اخذنَ يدفئن ثيابي ولُحُفي · ثم اشارت واحدةٌ منهنّ ان أُعطَى مع اللبن ملعقة صغيرة من النبيذ المعتّق وذلك لأنام واكفّ عن العويل ·· ولما أفقتُ من نومي وقد احمرّت عيناي وانتفخت اوداجي جرّعوني دواءً جديداً لا اعرف اسمه · وقد شربته وانا أتلوّى ألماً · أنظر الى اهلي بعيون ملؤها الدموع وقلب يتفتت من الحزن ·· غير انهم لم يفقهوا شيئاً من امري بل شدّوا وثاقي بالقُمط حتى عدمت كل حركة ولم أعد اعرف اين رأسي واين رجلاي · وصرتُ اتمنى ان تنتهي حياتي هذه المنغّصة لأنجو من كل هذا العناء ·· آه · اني لم اولد لأغتبط بالحياة

عند هؤلاء الناس ، بل وُلدتُ للعذاب والشقاء

اليوم الثالث عشر

الحمد لله ثم الحمد لله ! فقد جاء اليوم الاخير من حياتي وقُضي الامر . فالوداع ايها العالم الواسع . الوداع ايها الكون العظيم . ان جهل والدتي لم يُتح لي ان أتمتع بنور شمسك ، وصفاء سمائك ، وعذوبة مائك ، ونقاء هوائك ...

قطرات صغيرة

* يزور جبال الالب كل سنة زهاء مليون سائح . ومعدل ما يموت منهم من جراء الحوادث المختلفة نحو ٢٧

* كانت مدة عصر الفحم الحجري في الارض نحو ثمانية ملايين من السنين

* الدم في جسم الانسان يعدل جزءاً من اثني عشر او جزءاً من اربعة عشر جزءاً من وزنه

* كان معدل حياة الانسان في القرن السادس عشر ٢١ ½ سنة واصبح اليوم ٤٠ ½ سنة

* كان كل ما استخرج من الفحم سنة ١٨٧٠ في كل الارض ٢١٩ مليوناً من الاطنان . وفي سنة ١٩٠٠ بلغ هذا المعدل ٨٦٠ مليوناً . وفي سنة ١٩١٠ بلغ ١١٤٣ مليوناً . ويقال ان الفحم اذا ظل استخراجه من الارض على هذا المعدل فانه يفرغ منها بعد نحو ١٥٠ سنة او اقل

* في مقاطعة اوغاندا من افريقيا لكل الف رجل ١٤٦٧ امرأة . وفي ألاسكا الاميركية لكل الف رجل ٣٩٠ امرأة

* يمكن تحويل كل رجل الى نحو مئة متر مكعب من الغاز

* اكثر الاوقيانوسات ملوحةً الاوقيانوس الاتلنتيكي

* معدل ما يغرق كل سنة في جميع بحار العالم مئتا سفينة ثمنها جميعاً سبعة عشر مليوناً ونصف المليون من الجنيهات . ويغرق فيها نحو مئة وعشرين الفاً من النفوس البشرية

الاغاني في الحروب

[من مقالة لداود بك بركات وقد كتبها على اثر حروب البلقان]

ذهب فريق من العلماء الى ان منشأ اللغات الغناء · لان الغناء في عرفهم هو صورة الخيال الواقعة تحت الحس ، او استفاضة مما في النفس عند امتلائها · وفي تاريخ الاقدمين ان امفيون باني اسوار طيبة كان يدفع العمال الى العمل بجدّ ونشاط بالغناء والاناشيد · وفي اساطير اليونان ان الشعب انتصر في معركة سلامين باغاني سولون ، فنجى البلاد بعد سقوطها · وفي التوراة ان الاسرائيليين كانوا اذا خرجوا لحرب يسير مُغَنّوهم امامهم · وفي التاريخ الحديث ان الفرنسويين لما سمعوا انشودة « المرسيلييز » سنة ١٧٩٢ – وقد اجتاح العدوُّ بلادَهم وقبض علَى ناصية ارضهم – تولتّهم الحماسة وهزّتهم النخوة ، فألّفوا صفوفهم الممزّقة وقوّتهم الضائعة ، فبرز ضعافُهم اشداء وجبناؤهم شجعانًا ومتطوعتهم منتظمة ، فانتصروا

وفي وصايا بولس رسول النصرانية : « رتّلوا وغنّوا » الصلاة · وفي الآيات القرآنية : « ورتّل القرآن ترتيلاً » · وفي التوراة نشيد الاناشيد · وفي اخبار داود انه ما كان يزيل كربته اذا ذُكر امرُ شاول الاّ الغناء · وفي اخبار السَّحرة والعرّافين انهم ما استأثروا الالباب ولعبوا بالعقول الاّ بعد ترويضها بالغناء · ويؤكد هوراس ان مصر تقدمت غيرها من امم الارض بالمدنية والحضارة لانها تقدمت غيرَها بالغناء · وفي اقوال احد شعراء الفرنسويين : « اذا تآخت الاصوات دنت القلوب من الوئام »

وكان الاطباء يداوون المرضى بالاغاني . وروى هوميروس وبلوتارك ان القدماء كانوا اذا جلسوا بعد الاكل والقصف يغنون فيفثأون من نموهم . ومن اقوال لوبز في الغناء انه في الكلام كاللون في الصور . — ومن الاغاني ما يبكي ويرقق ، وهو لما كان من الشعر في الغزل والشوق الى الوطن والبكاء عَلَى الشباب والمراثي والزهد . ومنها ما يطرب ، وهو لما كان في نعت الشراب وذكر الندماء والمجالس . ومنها ما يشوق وترتاح اليه النفس كصفة الازهار والاشجار والمتنزهات والصيد . ومنها ما يسرُّ ويُبفرح ويحث عَلَى الكرم والجود ، وهو لما كان في المديح والفخر وصفة الملوك . ومنها ما يشجع ، وهو لما كان في الحرب وذكر الوقائع والغارات والاسرى والنصر والفوز والفخر

ولكل امة اغانيها واناشيدها . ومن هذه الاناشيد والاغاني تعرف عاداتها واخلاقها وتاريخها وأطوارها . وتتوارث السلالات ذلك جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن ، حتى ان نوتية المراكب في نيل مصر يغنون اليوم « رعمسيس » توارثاً وتقليداً بقولهم وهم يجذفون « يارمسو يارمسو » . وفي سوريا يسمون اغاني الحرب والقتال « حوربة » ويشتقُّون منها فعل « حَوْرَبَ » . كما انهم يسمون اغاني الفرح « هوبرة » ويشتقُّون منها فعل « هوْبرَ » ولعلهم ورثوا هذه اللفظة من « هورا » الرومانية والاغريقية ، فضلاً عن « الحدو » الذي ينشدونه عند السير والمشي ، لا وراء القوافل والظعن فقط ، بل في كل سير سريع يتطلب الحماسة والنشاط

وكان غُزاة العرب الذين دوَّخوا المشارق والمغارب ، اذا خرجوا لغزوة او لقتال او لحرب ، تغنَّوا باشعارهم الحماسية ، فيفور الدم في عروقهم وتهيج اعصابهم وتحمى نفوسهم ، ويدفعهم الفخر الى اتيان العجائب .

وكانوا اذا اشتبك الابطال بالقتال وكفُّوا عن التغنّي بالاشعار يوقفون نساءهم يغنّينهم ، وفي يد الواحدة منهن مقرعة تضرب بها الفارّين ،وفي يدها الاخرى قارورة ماء تسقي منها الجرحى . وهذه العادة لا تزال عادتهم في حروبهم . وهي ايضاً من عادات الارناؤوط وشعوب البلقان ، حتى قال احد الضباط الاوربيين الذين شهدوا المعارك البلقانية ان الاناشيد والتغنّي بحكايات الابطال كانت من اقوى العوامل في فوز البلقانيين . وقد تلقَّت الشعوب السلافية هذه العادة عن الشعوب الشرقية الحربية كالعرب منذ اربعة قرون . والاغاني والاناشيد هي التي صانت قومية البلقانيين من الضياع وصانت لغاتهم من النسيان . فهم منها حفظوا تاريخ اسلافهم ومجد اجدادهم واسماء ابطالهم . — وقد تفرّد في نظمها العميان اذ كانوا يطوفون القرى والدساكر وينشدون هذه الاناشيد عَلَى توقيع الرباب وغيرها من آلات الطرب . واذا ذكرنا نحن اشعار عنترة والمهلهل عرفنا كيف يكون تأثير هذه الاناشيد في نفوس الامم وعصابات الشبان وطوائف الجند . وتاريخ الافرنج طافح بمثل ذلك عن غليوم تل والسيّد ورولان

وفي حكايات الصربيين والبلغاريين حكاية بطل من ابطالهم في القرن الخامس عشر يسمونه ماركو قره جيفيتش كان يلبس جلد الذئب ويتسلَّح بخنجر مرصع بالذهب والفضة ويركب جواداً يسمى شاراتز . ولهم فيه القصائد والاناشيد التي يحفظها كبارهم وصغارهم ويتغنّون بها في البيوت والمنازل والافراح والمآتم والحقول والمتنزهات ، حتى انه لا يوجد طفل واحد بلقاني لا يتمنى ان يكون ماركو . وايك بعض ما يقولونه عنه : «اذا ضرب ماركو بسيفه ترك خصمه شفعاً بعد ان كان وتراً . اذا طعن ماركو برمحه

أطار خصمه الى ما فوق رأسه . واذا دار ماركو دورتين فلّ الجيش بدورانه »

وقس على ما ذكرنا ما لم نذكر من قصائدهم واشعارهم التي اثارت الحمية في رؤوسهم اثناء القتال وحفظت تاريخهم وجنسيتهم واملهم وشجاعتهم قبل الحرب ، بل أعدَّت نفوسهم للثورات كما أعدَّتها للنصر

ونحن العرب الشرقيين عندنا كثير من هذه الاناشيد والاشعار الملأى بها الاسفار . ولكنَّ الاغاني في مجالسنا تثبط اليوم هممنا وتضعف نفوسنا . فما هي الاَّ الندب والبكاء والنوح للوصال والذلّ في الليل والصَغار في النهار . فهل يريد المغنون والمنشدون والناظمون والسامعون ان يخرجوا من الذلة وضعف النفس الى الفخار والحماسة والمجد ؟ لقد آن لنا ان نعرف أنَّا شعب حيٌّ موجود ذو تاريخ وابطال ، لا اقوال بل أفعال

وهذه الاغاني التي درج عليها المغنون العرب نُقلت عن مغنيي الخلفاء في بغداد بعد ان اخذهم الترَف وتولاهم النعيم . وانصرفت نفوسهم الى اللهو والزهو والخلاعة ، كالرومان في آخر عهدهم ، فنقلها عنهم الحضر وسكان المدن . ولكنَّ اهل البادية والجبال ظلُّوا علَى ما كان عليه آباؤهم ، ولا يزالون على ذلك حتى الان في غنائهم وعيشتهم وتقاليدهم وفخارهم وشجاعتهم . فاذا أردنا العود الى مجدنا فلنعد الى طلب الشعب في بواديه وقفاره ، حيث نجد الكرم والجود والشجاعة والحماسة والنبل والشرف والعزة والانفة

✻ لا دين ولا دنيا ✻ — للاستاذ جرجس الخوري ايوب

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا　　　واوطانُنا من جهلنا تتفجَّعُ
فان نحن نبغي بالدناءة مغنماً　　　فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ

اقدم كتب العالم

[لابرهيم بيدس]

٢

وأخذ الصينيون يكتبون ويؤلفون قبل فجر الادب الاوربي بمئات من السنين . وكان كنفوشيوس المؤسّس الاعظم لآدابهم وقد ظهر قبل المسيح بنحو خمسمئة سنة . وكان الصينيون يكتبون على اقراص يصطنعونها من ليف الخيزران . ثم كتبوا علَى الحرير . ثم على الورق . وقيل انهم اخترعوا الورق في نحو سنة ١٠٠ ق . م . ثم الطباعة بعد ذلك بنحو مئة سنة . فكانوا يجهزون قوالب صلبة يحفرون عليها الكتابة ويطبعون بها . وكان ذلك قبل اختراع فن الطباعة في اوربا بثلاثمئة سنة . وكانت كتب الصين القديمة تبحث غالباً في الاخلاق والادب والحكمة . وكان للكتّاب عندهم مقام سامٍ

وحدث في بدء القرن الثاني قبل المسيح ان (شي هوانغ تي) امبراطور الصين وقتئذٍ امر باحراق جميع الكتب ما خلا الطبية والزراعية منها . وكان الصينيون قد استظهروا اكثر ما فيها من الاشعار والاغاني . فلما هلك ذلك الامبراطور جدّدوا كتابتها ونشرها وعادت الحكومة فاحترمت الكتّاب واخذت في مؤازرتهم واجراء الارزاق عليهم . واول كاتبة اشتهرت في العالمَ الادبي كانت مؤرّخة صينية يُقال لها (پان شاو) وكانت نشأتها في اوائل التاريخ المسيحي

ولما كان الصينيون اشدّ الامم تمسكاً بالتقاليد والعادات القديمة فلا بدع ان يكون الادب الحديث عندهم تابعاً للقديم وناسجاً عَلَى منواله او يكون شرحاً له . وهذا هو الباعث الاكبر على بقاء اللغة الصينية حتى الان كما كانت منذ آلاف السنين . وقد كان للاساطير عندهم مقام رفيع ايضاً فلم يكن احد يجسر ان يتناولها بانتقاد او تفنيد

والفيدا ــ وهو كتاب الامم السنسكريتية المقدس ــ من الكتب القديمة العهد و يرجع تاريخ كتابته الى الف سنة قبل المسيح

وعاش بوذا في اواخر القرن السادس ق. م. وهو منشىء الآداب الهندية اللاهوتية . ومؤلفاته كُتب بعضُها على الجلود والبعض الآخر عَلَى ورق النخل

و يرجع اقدم كتب العبرانيين الى سنة ٦٠٠ ق . م .

اما اليابانيون فلم يكن لهم كتب ادب خاصة الاَّ قبل هذا العهد بالف سنة فقط

وكان الفينيقيون — الذين نزحوا الى شمالي افريقيا وانشأوا هناك مدينتهم القديمة قرطجنة عاصمة العالمَ التجاري في ذلك العصر ــ اولَ من علَّم اليونانَ الكتابة

واخذ اليونان عن المصريين طريقة صناعة الكتب . وفي القرن الخامس شاعت القراءة والكتابة في بلادهم وأُنشئت مدرسة للصبيان في جزيرة خيوس منها . وكانت الاسكندرية العاصمة الثانية لحضارتهم فأنشأوا فيها مكتبتهم المشهورة (عَلَى عهد البطالسة) وشحنوها بما لا يقلُّ عن سبعمئة الف كتاب عَلَى اختلاف الانواع ــ مع اننا لا نجد في مكتبة المتحف

البريطاني الان اكثر من اربعة ملايين كتاب والفرق بين العهدين الفا سنة

وأحرق مكتبةَ الاسكندرية او أحرق معظمها يوليوس قيصر سنة ٤٨ ق·م· وكان في جملة ما احترق فيها موءلفات افلاطون وكزينوفون وهيرودوتس ويوريبيدس وسوفوكليس واشيلس واريستوفانوس ويوكليدس صاحب الكتب الهندسية · وكان اكثرها مكتوباً عَلَى البردي والبعض الآخر على الرق · ولم يُستَخدَم الرق للكتابة الاَّ قبل احراق مكتبة الاسكندرية بنحو مئة سنة · غير ان الكتب التي كتبت عَلَى البردي كانت اشبه بالخرائط · فكانوا يكتبون عَلَى الوجه الواحد منها ثم يشدّونها الى ملفّات من خشب يلفّونها عليها ويحفظونها او ينشرونها كلما ارادوا ان يقرأوا شيئاً · وقد كُتبت ايلياذة هوميروس عَلَى اربعة وعشرين ملفاً وكان منها في مكتبة الاسكندرية عدة نسخ · وكان للنسَّاخ شأْن في تلك العصور وعليهم كان المعول في نسخ الكتب ونشرها وكانت ارباحهم من ذلك غير قليلة· وراجت سوق الكتب في عصر الاسكندر رواجاً طيّباً · وكان في اثينا وحدها من النسَّاخ — قبل ميلاد المسيح بخمسين سنة — جمهور كبير

٣

كانت الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد مركز الحركة الادبية اليونانية· وكانت رومية وقتئذٍ تتهيأ لحياة جديدة ومستقبل مجيد · واخذ كُتَّابها يحذون حذو اليونان في الكتابة وينسجون عَلَى منوالهم

في ذلك العصر تُرجمت التوراة الى اللغة اليونانية وكان ذلك في مدينة الاسكندرية · وتُعرَف هذه الترجمة بالترجمة السبعينية · وكان

هذا العمل اهمَّ حركة ادبية وقتئذٍ . وظلَّت الاسكندرية مركز العلم والادب حتى القرن الخامس بعد الميلاد . وقد نما عدد النساخ وكثر المؤلفون وراجت تجارة الكتب في الاسكندرية ومنها الى سائر انحاء العالَم المعروف

ولما سقطت دولة اليونان حلَّت دولة الرومان محلّها واصبحت رومية عاصمة العالَم واخذ العلماء والشعراء والفلاسفة يفدون اليها من كل حدب كما كان امثالهم يفدون الى باريس في القرن الثامن عشر

غير ان اللغة اليونانية ظلَّت هي لغة الآداب وظلَّ ادباء الرومان يقرأون الكتب باللغة اليونانية امداً طويلاً الى ان حلَّت اللغة اللاتينية محلّها وشرع الكُتَّاب يعنون بالترجمة اليها وكان في مقدمة ما ترجموه ايلياذة هوميروس . ودام عصر الادب اللاتيني الذهبي في رومية مئة سنة تقريباً . وكان شيشرون ولوكريتيوس وقيصر وهوريس وفرجيل واوفيدس وليفيوس اشهرَ الادباء وقتئذٍ

٤

وفي القرن الثالث للميلاد تغيرت هيئة الكتب وصارت اقرب الى ما هي عليه الان واصبحت الملفَّات آثاراً للصناعة القديمة فقط واخذ الناس يهملون استعمالها شيئاً فشيئاً . وكانت الكتب تُجلَّد في بدء الامر بدفاف من الخشب المنقوش . وكانت تُكتَب في الاديار ويُعنى بنسخها وتجهيزها الرهبان . وكانوا يتأنقون في كتابتها وتزيينها بانواع النقوش والرسوم حتى بلغوا غاية الإبداع . وكان شارلمان الكبير يأذن لهم ان يصطادوا كبار الحيوانات لاستعمال جلودها لتجليد الكتب

وأقدم آثار ذلك العصر كتاب جميل لفرجيل يحتوي على ست

وسبعين صفحة من الرقوق وخمسين صورة وهو موجود الان في مكتبة الفاتيكان

وكان اول عهد تزيين الكتب في الاسكندرية ثم انتشر في البزنطية وانتقل الى الغرب وعمت هذه الصناعة في القرون الوسطى وعضدها ألفرد العظيم في انكلترا وغيره من ملوك اوربا وامرائها في غيرها · وكانوا يكتبون اولاً بريش الطيور ثم صنعوا اقلاماً من البرونز وصاروا يكتبون بها ·وكان النسَّاخ في الاديار يُعفون من الشغل في الحقول ومن غير ذلك من الواجبات الاخرى

وظلَّت هذه الصناعة في تقدم مستمرّ وعدد النسَّاخ والخطَّاطين ينمو في كل مكان حتى جاء يوحنا غوتنبرغ فاخترع فن الطباعة فقضى بذلك علَى صناعة النسخ القضاء المبرم

﴿ شهادة اكسفورد وكمبريدج ﴾ — اشرنا في جزء سابق من اجزاء هذه المجلة الى مباراة بعض مدارس القدس في دخول امتحان جامعتي اكسفورد وكمبريدج الشهيرتين . وقد علمنا الان بملء السرور من النشرة الرسمية الواردة من الجامعتين المذكورتين ان جمهوراً من طَلَبة وطالبات الكلية الانكليزية للصبيان ، وكلية البنات وهي المعروفة ايضاً بالمدرسة العليا الانكليزية للبنات ، ومدرسة القديس جرجس الانكليزية ، قد اجتازوا هذا الامتحان بنجاح ونالوا شهادة الجامعتين وامتاز كثيرون منهم باللغة العربية وبغيرها من المواضيع فنهنئهم

المدارس في فلسطين

(وكتب التدريس فيها)

تفتح المدارس ابوابها في هذا الشهر ويتهافت عليها الطلاب من كل فج . فشهر تشرين الاول هو شهر المدارس في كل مكان . والمدارس عندنا عديدة تكاد لا تُحصَى بين صغيرة وكبيرة وداخلية وخارجية . بعضها مدارس اميرية تديرها ادارة المعارف . والبعض الآخر للجمعيات المختلفة بين وطنية واجنبية . وقد كان النجاح مطّرداً في كثير منها والهمّة مبذولة للسير في هذا المضمار الى الامام

ولما كانت المدرسة هي الدعامة الاولى من دعائم التقدم والعمران والركن الاول من اركان الحضارة والتمدن كان امر الاهتمام بها وبانتقاء اساتذتها وحسن اختيار كتب التدريس فيها من اهم الامور واقدسها وافضلها واجلّ الشؤون التي يتعين عَلَى الرؤساء العناية بها واستفراغ كل ما في الوسع لتحقيق الغرض المقصود من انشائها ، ألا وهو تربية الناشئة من اهل الوطن عَلَى قواعد الآداب والفضيله وتلقينهم اللغة الوطنية تلقيناً صحيحاً ، لانها هي الجامعة الوحيدة للامّة ، لا تقوم الاّ بها

فاذا عُلم ذلك تعيّن ان تكون كتب التدريس في هذه اللغة من احسن ما يمكن اختياره من الكتب الموضوعة لهذه الغاية ، من غير ان يكون عَلَى فاحصي هذه الكتب او الذين يُوكَل الى عهدتهم امرُ اختيارها اقل تأثير

خارجي او اعتبار آخر، لانهم انما يختارون لتوفير الفائدة والمنفعة الحقة لالوف الطلبة لا لِأَذيتهم، لتلقينهم مَلَكة اللغة، لا لإفسادها وتشويهها، لوضع افضل الكتب وأجودها بين ايديهم، لا لتقرير كل كتاب يعرضهُ ذو مصلحة ولو كان فيه كل الاذى

ولا شك ان بعض الدوائر والادارات التي تُعنى بالمدارس في فلسطين، وفيها المفكّرون وار باب الفن، ستتلقى كلمتنا بهذا الشان برحابة صدر ورغبة اكيدة في الاصلاح، اذ لا دافع لنا عليها الاَّ الاخلاص للعلم ولهذه اللغة التي وقفنا عليها حياتنا. وقد رأينا من هذه الدوائر والادارات كل ميل الى الاصلاح وكل همَّة في انتقاء افضل الكتب للمدارس. غير ان هناك كتاباً لا نعلم كيف اندسَّ اليها وكيف رضيتْ به وكيف قرَّرت تدريسه وأَقبلت عليه اقبالاً عجيباً، وهو من الكتب التي لا تنير ذهناً ولا تثقّف عقلاً ولا تقوّم لساناً، وقد فشا فيه الغلط كما فشَت الركاكة واصبح الغاء تعليم العربية به في المدارس خيراً من تعليمها فيه

وهذا الكتاب — الذي نشير اليه والذي يعرفه ابناء المدارس وار بابها باسم «المجموعة الاصولية» — عدَّةُ اجزاء متسلسلة وقد قال مؤلفها في مقدمتها انها وُضعت عَلَى اسلوب بداغوجي (يريد عَلَى اسلوب فن التعليم والتربية). ولكننا لم نرَ فيها شيئاً من الاسلوب الذي ادَّعاه، لان اكثرها نسخةٌ من كتب مدارج القراءة والمباني الاساسية وغيرها. فكيف يكون قد وضعها عَلَى الاسلوب البداغوجي وهو انما قد نسخها نسخاً عن الكتب وليس له فيها شيء من الابتكار والاسلوب ؟ وهو لو وقف فيها عند هذا الحد لهان الامر ولكنه حشاها بكل نوع من الخلط والخبط الى ما لا نهاية له

يشير المؤلف في مقدمة مجموعته هذه الى انه استعان عند جمعه هذه الكتب بعدة موءلفات عربية كالمدارج والطريقة المبتكرة والمباني الاساسية وسلاسل القراءة. فهل في هذا الكلام ما يبرّر عمله ويجعل له الحق في الاتجار ببضاعة غيره عَلَى هذه الصورة؟ وهل يجوز تنشيط مثل هذا العمل وتشجيع امثال صاحبه على مثل ذلك؟

امامنا — ونحن نكتب هذه الاسطر — جزء واحد من اجزاء هذا الكتاب وهو الثاني منها، وقد احصينا فيه الدروس التي نقلها حضرة الموءلف بالحرف الواحد من مدارج القراءة فقط فأربت عَلَى الثلاثين درساً تناولها برمتها دون ان يذيّل كل درس منها باسم الكتاب الذي نقل عنه. فلو كان صاحب المدارج حياً او لو علم بهذه الغارة الشعواء عَلَى كتبه بهذه الصورة الشنيعة قبل وفاته لرفع الدعوى حالاً على صاحب المجموعة... وبعد هذا أفلا نُحسب شركاء لهذا الاستاذ في عمله اذا نشطناه عليه وقرّظنا كتبه ونشرناها بالالوف وعشرات الالوف؟ هل في ذلك حق وانصاف؟— هذه الكتب الذي بذل صاحبها في وضعها مهجتهُ وتركها ميراثاً لذويه يتخذها غيره بضاعة يتصرف بها كما يشاء... فهل في غير هذه البلاد مثل هذه الفوضى؟؟

ثم عَلَى تسليم ان ذلك كله سائغ ففي هذه الكتب من العجمة والركاكة مالا يجوز معه ولا بوجه تقريرها ووضعها بين ايدي ابناء البلاد الاّ اذا تعمّدنا الاساءة اليهم وإفساد لغتهم وتعويدهم الخمول والصغار منذ الصغر. ونحن لا نتكلّف من البرهان عَلَى ذلك الاّ ان نورد شيئاً من الجزء الذي امامنا ولا بأس لتأييد كلامنا من تسويد صفحة من صفحات النفائس

على غير جدوى . فقد رأينا في صدر هذا الجزء قطعة شعرية لا ندري اذا كان الاستاذ نظمها او اختارها بحسن ذوقه ومقدرته او كانت هي من الفن البداغوجي الذي بنى كتبه عليه . وها هي بالحرف الواحد :

نرفع صوت الثنا ننشد لحن السرور
ثم نأهلُ بكم ايها القوم الحضور
أعطنا يا ربنا ان نعي ما نسمع
ونطيع كلما في القلوب يقع
ثم نبقى هادئين طائعينَ دائما
ونكون صالحينْ لُطَفاءَ كُرَما
وكذا باركنا في كل ما نفعله
كلِّ ما نفكر فيه كلِّ ما نقوله
وامنح اليوم لنا منك خيراً وصِلاتْ
انك خير رجا وسميعٍ للصلاةْ

حقاً ان هذه القصيدة من آنق الشعر وأرصنه ! وحقاً ان الاستاذ طويل الباع جداً في الاساليب البداغوجية !! ولينظر القارىء الان الى القصيدة التالية وليحصِ معنا ما فيها من بدائع الفن والكلام العربي الصحيح الخالد :

انا الذي يدعونه في الصيد حريصاً
ألقي شباكي واقول هاي لِيصا
قلبي جريءٌ أقتحِمُ كلَّ عويصا
أصطاد من خير السمك هاي ليصا
احمل على الظهر ما اصطاد مخصوصا
شُدُّوا معي جميعكم هاي ليصا

والاجزاء كلها طافحة بامثال هذه البدائع ، بل هذه الغرائب التي تريد بعض الدوائر التي اشرنا اليها و بعض رؤساء المدارس الذين اعتمدوها ان يستظهرها ابناؤنا ؛ والتي منها يريدون ان يستقوا اللغة الصحيحة والآداب الصحيحة .. وليس في وسعنا اظهار كل اغلاط هذه الكتب وتزييفها في مقالة واحدة وذلك تفادياً من تبرُّم القرَّاء ومللهم فنرجئ الباقي الى ما سيأتي من اجزاء المجلة .. نقول هذا ونحن عَلَى رجاء ان كلامنا سيقع الى اسماع واعية لا يلتوي عليها القصد ولا يشتبه اليقين . ويعلم الله اننا لم نتصدَّ لهذه الكتب بهذا النقد الاَّ رغبةً في الاصلاح وتنبيهاً الى وجوب تدارك ما فات خدمة للمدارس وغيرةً عَلَى ابنائها ، والله وليُّ الخير وهو المسدِّد الى الرشاد

❊ كلية البنات في القدس ❊ — اشرنا غير مرة الى هذه المدرسة الراقية التي انشئت في القدس منذ خمس سنوات وأحرزت على حداثة عهدها ثقة الاهلين واقبالهم . وكل ذلك بهمة رئيستها الفاضلة المس وربرتن صديقة الشرق والشرقيين . فانها بما تبذله من الدأب والسهر في سبيلها قد اصبحت المدرسة من أحفل المدارس التي من نوعها وأكملها استعداداً وأبعدها شهرةً وافضلها عنايةً بالطالبات وأحسنها قياماً بتلقينهنَّ العلوم والآداب . وقد اطلعنا على بيان هذه المدرسة الزاهرة لسنتها الجديدة وما يُنوى ادخاله فيها من وسائل التحسين المستمر ما تعوَّدنا ان نتلو انباءه عنها كل سنة . وفي البيان ان المدرسة تفتح ابوابها للطالبات في العاشر من تشرين الاول الحالي . فنحن نشكر لحضرة الفاضلة المس وربرتن عنايتها المتواصلة ونتمنى للمدرسة ان تبلغ أقصى ما يتمناه لها كل محب للعلم وكل راغب في تقدم الفتاة في هذه البلاد من النجاح والفلاح ان شاء الله

آثار أدبية

✻ تاريخ فلسطين ✻ — أهديت لنا نسخة من كتاب بهذا العنوان لمؤلفيه الفاضلين السيد عمر الصالح البرغوثي والسيد خليل طوطح مدير دار المعلمين في القدس وقد قسماه الى ثلاثة اقسام اشتمل القسم الاول منها على تاريخ فلسطين من بدئه حتى الفتح العربي الاسلامي ، والثاني على الفتح الاسلامي حتى العثمانيين . والثالث على عهد الدولة العثمانية . وختماه بالكلام على الاحتلال الانكليزي وتاريخ الصهيونية . وقد تصفحنا ما استطعنا تصفحه منه فألفيناه سهل المأخذ واضح الاشارة حسن الاسلوب مما دلَّ على سعة علم المؤلفين الفاضلين وغزارة مادتهما فكان الكتاب بكل ذلك كثير الفوائد جامعاً بين التاريخ والسياسة حرياً بان يستفيد منه المطالع ويستبصر به الاديب . فنشكر لمؤلفيه الاديبين عنايتهما في وضعه ونتمنى لهما تحقيق ما يرجوان من تعميم نفعه . — وقد عُنيت بطبع هذا الكتاب مكتبة فلسطين العلمية في القدس فجاء حسن الطبع جيد الورق يشتمل على اكثر من ثلاثمئة صفحة . وهو يُطلب من مكتبة فلسطين المشار اليها ومن ادارة النفائس في القدس وثمنه ٢٥ غرشاً . فنحض جمهور الادباء وطلاب التاريخ على مقتناه

✻ القاموس العام ✻ — مجلة تاريخية شرقية مبتكرة في بابها وحيدة في خطتها فذَّة في اللغة العربية بل في الشرق لانها حصرت مواضيعها في تراجم مشاهير الشرق وادبائه ورجال العمل فيه وأضافت الى ذلك نبذاً تاريخية في الشرق وبلدانه وكلها ذات طلاوة ونفع وفوائد جليلة لا تُعرف قيمتها الا بالاطلاع عليها . وهي تصدر في بيروت مرة في الشهر لحضرة الصحافي الفاضل حنا افندي ابي راشد وقد عُني بتنسيقها واتقان طبعها اتمَّ عناية وجعل بدل اشتراكها ٣٠٠ غرش سوري في سوريا وجنيهاً مصرياً في فلسطين ومصر والعراق . فنشكر لحضرته هذه الهمة في خدمة الشرق والشرقيين ونرجو لمجلته مزيد الرواج والانتشار

✻ جغرافية فلسطين ✻ — كتاب سهل المأخذ واضح المنهج رشيق العبارة جميل الترتيب يشتمل على جغرافية فلسطين من وجهاتها الطبيعية والزراعية والتجارية والصناعية والتاريخية والادارية . عُني بتأليفه الاستاذ خليل افندي طوطح مدير

المعلمين في القدس والاستاذ حبيب افندي الخوري استاذ اللغة العربية فيها • فنشكر لحضرتيهما هذه العناية في خدمة البلاد وابنائها • ومن امثلة ما جاء في الكتاب من الفوائد ان المسافة من القدس الى رام الله ١٦ كيلومتراً ومنها الى نابلس ٦٧ والى الناصرة ١٤٢ والى حيفا ١٧٧ ½ والى صفد ٢٠٨ ½ والى يافا ٦٦ والى اريحا ٣٧ والى البحر الميت ٤٠ والى بيت لحم ٨ والى برك سليمان ١٣ والى الخليل ٣٦ والى بئر السبع ٨٤ . وان عدد السكان في فلسطين ٧٥٧١٨٢ نفساً منهم ٥٩٠٧٩٠ مسلمون و٧٣٠٢٤ مسيحيون و٨٣٧٩٤ يهود و٧٠٢٨ دروز و١٦٣ سمرة و٢٦٥ بهائيون و١٥٦ متاولة وغير ذلك مما يجدر بكل فلسطيني وبكل مدرسة في فلسطين الاطلاع عليه واغتنام فوائده • وهو يُباع في مكتبة فلسطين العلمية في القدس ويافا لصاحبيها الفاضلين بولس افندي سعيد ووديع افندي سعيد وثمنه ١٥ غرشاً

﴿ **الفيحاء** ﴾ — جريدة سياسية علمية ادبية فنية جامعة مصوَّرة لصاحبيها الفاضلين السيد قاسم الهيماني والسيد شفيق شبيب وفيها من المقالات والمباحث في الاغراض المشار اليها ما يدل على ما عند محرّريها من طول الباع في فنون الادب مما يرتاح اليه كل مطالع وهي رشيقة العبارة رائقة الاسلوب حسنة الترتيب فنرحب بها ونرجو لها تمام الانتشار والثبات • وهي تصدر في دمشق مرة في الاسبوع في ثماني صفحات كبيرة وقيمة اشتراكها ٣٠٠ غرش سوري في سوريا ولبنان وجنيه مصري في فلسطين وسائر البلدان العربية

﴿ جغرافية سورية العمومية المفصّلة ﴾ — أهديت لنا نسخة من كتاب بهذا الموضوع يحتوي على جغرافية مفصلة لسوريا بجميع اجزائها وفيه مباحث طبيعية واقتصادية وسياسية واجتماعية وتاريخية لهذه الاجزاء • كلها حرية بالمطالعة والاستفادة جديرة بان يعتمد عليها في تدريس هذا الفن في المدارس • والكتاب كبير الحجم جيد الورق كثير الرسوم غاية في الاتقان وحسن التنسيق • وهو من تأليف حضرة الفاضل الاستاذ سعيد افندي الصباغ ويُطلب منه ومن مكتبة السيد عبد الرحمن الانصاري في صيدا • فنثني على حضرة مؤلفه اطيب الثناء ونحث الطلبة وارباب المدارس على مقتناه